قيام حكم سلالة اليعاربة وانهياره في عمان ١٦٢٤ - ١٧٤٩
دراسة في التاريخ السياسي

رسالة ماجستير في التاريخ الحديث تقدم بها غانم محمد رميض العجيلي الى جامعة الدول العربية ـ معهد البحوث والدراسات العربية-بغداد، ١٩٨٧م.

عرض: الدكتور محمد هليل الجابري
كلية الاداب ـ جامعة البصرة

اجاد الباحث في اختيار موضوع رسالته وحقبتها الزمنية، التي تشكل جانبا مهما من تاريخ الخليج العربي الحديث والجزيرة العربية، وتأتي اهمية هذا الاختيار محاولة لاظهار ذلك التاريخ من غوامضه وملابساته الى حقل النور والواقع سيما وان الحقبة بموضوعها تمثل تحديا عربيا لتنامي قوى الاستعمار ومحاولات مد النفوذ للتسلط على اكثر من موقع من بقاع العالم وبضمنها المنطقة العربية والخليج العربي على وجه الخصوص، نظرا لما يحتله من اهمية اقتصادية واستراتيجية كان ضرورة لاطماع قوى الاستعمار.

لقد وفق الباحث في وضعه لخطة رسالته بعد التغييرات العديدة التي اجراها ـ كما يبدو ـ وجاءت محتوياتها موافقة ، والى حد ما ، للمدة التي عاشتها وعايشتها سلالة اليعاربة بين تلك القوى الاجنبية الطامعة في الخليج العربي ومفتاحه عُمان موضوع الرسالة.

مما سبق جاءت فصول الرسالة الستة موافقة للمدة الزمنية واوضاع عمان وقتذاك، اذ جعل الفصل الاول في ضوء عنوانه لدراسة اوضاع عمان عشية التغلغل البرتغالي وقيام حكم اليعاربة، واقام الفصل الثاني على دراسة انبعاث الامامة الاباضية وجهود ناصر بن مرشد اليعربي في سبيل توحيد اقاليم عمان ومناطقها معقبا على مراحل الصراع العماني ـ البرتغالي بمراحله الثلاث (١٦٣٣ ـ ١٦٤٩)، وانصب الفصل الثالث على تقلد سلطان بن سيف الحكم وجهوده في تحرير مسقط وبناء القوة البحرية العمانية ومقارعة البرتغاليين حتى وفاته عام ١٧١١.

وعقد الباحث الفصل الرابع لأوج الصراع البحري بين عمان والبرتغاليين ١٦٥٠-١٧٢٠، والذي انتهى بتحرير ساحل موزمبيق من التسلط البرتغالي مع ايراد اثر الصراع البرتغالي مع بعض القوى الاوربية في اضعاف تلك القوة البرتغالية والاجهاز عليها تمهيدا لتحرير ذلك الساحل الموزمبيقي.

وجاء الفصل الخامس ليسد احدى ثغرات الرسالة في تبيان علاقات اليعاربة الخارجية، اذ تناول علاقاتها مع الفرس والانجليز ثم الهولنديين دون ان يغفل اثر ومدى التعاون والاتصالات التي كانت تجري في الخفاء بين البعض من تلك القوى للوقوف ضد العمانيين.

وكان الفصل السادس خاتمة لمطاف هذه الرسالة اختتم به الباحث حياة سلالة اليعاربة ليقيم على انقاضها حكم البوسعيد في عمان، متناولا وفاة احد حكامها وما ترتب على ذلك من اثر في اضعاف الجبهة الداخلية نتيجة توسيع هوة صراع القبائل وما خلفه من تبعات، لينتهز نادرشاه هذه الحالة ويكرر غزواته على عمان ويشدد ضغطه في سبيل التسلط عليها، وفي نهاية الرسالة ملحقان، الاول عن السلالة اليعربية والثاني عن الائمة اليعاربة.

كل رسالة لاتخلو من هفوات وكل جهد علمي قد يكون احيانا بعيد عن محجة الصواب - الى حد ما - وفي ضوء هذا المبدأ لابد من تدوين عدد من ملاحظات لاتوهن من قيمة الرسالة او تقلل كثيرا من اسسها وموضوعها:

١ - خلو الرسالة من مصادر وثائقية او مخطوطات في مادتها، واعتمادها الكتب المطبوعة رغم انه اعتمد كتب الفها بعض المعاصرين لاحداث الحقبة، ولاشك ان التأليف يختلف عن التوثيق، ثم اعتماده على كتب عربية معاصرة لاحداث المدة ترجمها اجانب الى الانجليزية، وهذا يضعف من قابلية استخدام المصدر ومعلوماته، وقد ظهر اكثر من كتاب في هذا الصدد.

٢ - يتردد اكثر من مرة اصطلاح «البحار الشرقية» من قبل الباحث دون ان يعرف انه عربي يتكلم عن بحار عربية، ولاشك ان هذا الاصطلاح اجنبي اطلق من قبل بعضهم نظرا لموقعها الجغرافي في الاجزاء الشرقية من بلدانهم، ويشمل هذا الاصطلاح في رأيهم فضلا عن الخليج العربي والبحر الاحمر بحارا اخرى امثال الاسود ومرمرة وايجة - البحر المتوسط.

٣ - اورد في الخرائط المصورة على الصفحات: ٥٧، ٨٣، ١٢٤، اسماء لبعض المواقع امثال خورفكان وغيره، لكنه لم يورد اسماء اخرى يجهلها القارىء امثال: خور حجارة وخور جرمة الواردة في ص ١٨، سيما وانها تمثل مرحلة الزحف البرتغالي وكذلك اسم قلهات صاحبة الثورات الواردة في ص ٢٠، ثم اسماء لاماكن اخرى وردت في ثنايا الرسالة.

٤ ـ يبدو من قراءة مقدمة الرسالة والفصل الاول منها افتقارهما لمعلومات تمهيدية عن الوضع في عمان عموما، ولو فعل الباحث في سد هذه الثغرة لكان موفقا في توضيح الصورة التاريخية للقارىء قبل الغزو البرتغالي.
٥ ـ على ص ٤٦ لم يوفق الباحث في اعطاء التعريف الدقيق لما توصل اليه الجانبان البرتغالي والعربي، فتارة يسميهـا (اتفاقيـة) س ٧ من الاسفل ص ٥٢، واخـرى (معاهدة) س٣ من الاسفل و س ٩ ص ٥٢، ويبدو من طبيعة بنود ماتوصلا اليه وشخصياتها ومناصبهم وحقبتها الزمنية انها اتفاقية اكثر من كونها معاهدة، ثم هنالك دليل اخر هو رفض ملك البرتغال تلك الشروط (ص ٤٧ س ٥)، كما يتردد بين وقت وآخر (ص ٥٢) ان السلطان فرض المعاهدة على البرتغاليين او حاول فرضها عليهم، والمعلوم ان المعاهدة ـ كما يسميها لاتفرض فرضا.
٦ ـ حبذا لو عقد الباحث مقارنات بين المعاهـدات المعقودة بـين عدد من حكـام اليعاربة وبعض الدول الاوربية كالبرتغاليين والانجليز مع التعليق عليها لامجرد ايراد الاحداث على عواهنها.
٧ ـ كنا ننتظر من الباحث ايراد معلومات اكثر مساسا بعنوان الفصل الاول نفسه (عمان في حقبة الهيمنة البرتغالية في الخليج العربي)، اذ المطالع لمحتويات الفصل نفسه يجد انه يتناول السياسة البرتغالية في عمان اكثر من تناوله اوضاع عمان ذاتها قبل ان يتناول البرتغاليين، وماذكره في اخر مبحث من الفصل نفسه لايتعدى نزرا يسيرا من مكنونات عنوان الفصل.
٨ ـ يتردد بين ثنايا بعض صفحات الرسالة كلمة: (دولة)، كما ورد في ص ٢٣ وفي الفهرست وصفحات اخرى، ولعل في هذا تعارض مع عنوان الرسالة (قيام حكم سلالة اليعاربة وانهياره في عمان)، وكان المفروض ان يوحد مصطلحاته السياسية ويتعامل معها كدولة وفقا لما اورده في عدد من صفحات رسالته، او كامارة او سلالة كما ورد في صفحات اخرى ولعل الواقع في ضوء الدراسات الموضوعة والمعلومات التي اوردها عن عمان في رسالته تجعـل الحكم عليها ان تكـون (امارة) ان لم نعـاملها كمشيخة اكثر من ان تكون (دولة) اذ للدولة اعراف ومقومات وأسس اقرها القانون الدولي وطبيعة العلاقات الدولية.
ولهذا فمن غير الصواب اطلاق المصطلحات على عواهنها او كما نشتهي سيما في رسالة جامعية على صاحبها ان يكون دقيقا وحذرا فيما يكتب.
٩ ـ رغم ان عنوان الرسالة يحمل طابع الوضع السياسي، ولكن الرسالة تكاد تخلو من جانب حضاري سيما وان ما مبعثر من معلومات بين ثنايا الاسطر يمكن ان يخرج منه بمبحث ان لم يكن فصلا حضاريا، ليتخلص القارىء ولو مؤقتا من معمعة السيف والصراع والحرب، وليبين للقارىء ان العرب بناة حضارة ايضا.

١٠ ـ حبذا لو كانت خاتمة سلالة اليعاربة لتحمل في مضان عناوين الفصل السادس المتعلق بها على اسباب داخلية، ويعقد مبحث اخر من الفصل نفسه ليشمل الاسباب الخارجية، دون ان يعتمد هذا السرد التاريخي في تلك العناوين التي وضعها في الفصل السادس خاصة وان محتويات الفصل نفسه تنبىء بمعلومات للاسباب الداخلية واسباب اخرى خارجية. واخيرا ورغم هذه الملاحظات تبقى هذه الدراسة رائدة ومهمة في موضوعها ولايسعني الا الثناء على الجهود العلمية التي بذلها الباحث كما لايمكن اغفال دور المشرف عليها الدكتور صالح العابد الذي كانت له اليد الطولى في اختيار الموضوع والكتابة عنه والاخذ بيد الباحث وتقديم الدعم اللازم له متمنيا المزيد من هذه الدراسات العلمية عن تاريخ وطننا العربي المجيد وخليجه العربي الخالد والله الموفق.

